في إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٦ —

ج ٢ ص ٢٢٧ : أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب كان بليغاً مترسلا شاعراً أديباً متقدماً في صناعة البلاغة ، وكان بينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة . وهو القائل :

خير الكلام قليلٌ على كثير دليلُ
والمعنى معنى قصيرٌ يحويه لفظ طويل
والبليغ فصولٌ واللبيب فضول

قلت :

خير الكلام قليلُ على كثير دليلُ
والبليغ فصولُ واللبيب فضولُ

فالبيت الأول مقفى ، والبيت الثالث مصرع ، وليس البيتان بمصمتين[1] .

(١) التاج : واستدرك شيخنا البيت المصمت وهو الذي ليس بمقفى ولا مصرع بأن لا يتحد عروضه وضربه في الزنة أي في حرف الروي ولواحقه كما حققه العروضيون .

ج ١٨ ص ٢٣٨ : ابن التعاويذي :

وعلام أشكو والعهود نقضتها
بلحاظهن إذا لوين ديوني
ميهات ما للغيد في حب امرىء
أرب وقد أربى على الخمسين
ومن البلية أن تكون مطالبي
جدوى بخيل أو وفاء خؤون
ليت الضنين على المحب بوصله
ألف السماحة عن صلاح الدين

قلت : (وعلام أشكو والدماء مطالحة بلحاظهن) كما رُوي في (الوفيات) في سيرة بطل المسلمين صلاح الدين . وقد يكون الأصل (والدماء مفاحة) وأفاح دمه هراقه كما في (اللسان) . ومخلص ابن التعاويذي هو من التخلصات المنكرة وإن لم يبلغ في القبح ما بلغه قول شاعرنا المتنبي :

على الأمير يرى ذلي فيشفع لي
إلى التي تركتني في الهوى مثلا[1]

قال ابن الأثير — وقد روى البيت في كتابه (المثل السائر) : والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره ، وما ألقاه

(١) من روى فيشفع بالرفع عطفه على قوله يرى ومن نصبه جعله جواباً للتمني كقراءة حفص عن عاصم «لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع» بالنصب (الكبرى) .

ولم نر قوياً وهب له الله الصحة يتارض لأن في الخلق مرضى وضعفاء .

ولم نر ذكياً رفيع الذهن يحرم على نفسه الارتفاع إلى ذراه لأن في الخلق أغبياء لا يطاولونه إذا ارتفع ذلك الارتفاع .

ولم نر صحيحاً موفور الاشتهاء للمآكل يأكل أكل المعوزين ، لأن المعوزين لا يهضمون كل ما يهضم من الطعام .

فلماذا نحرم على النوابغ والموهوبين أن يفكروا في شيء لا يقوى على التفكير فيه من حرموا النبوغ وهبات الخلق والابتكار ؟

الأن الطعام أرفع وآكل من الفوق والفكر والشعور ؟ الأن الارتفاع والامتياز حرام والشيء الوحيد المباح هو الانحدار والتساوي بين نزلاء الحضيض ؟

ليقل ذلك من ينفعه أن ينحدر الصاعدون ، وأن تخلو الدنيا من التفوق والرجحان .

وإذا قالوه فلا سبيل لهم إلى تحقيقه إلا بقوة الحيوان دون قوة الإنسان .

أما الإنسان فهو لا يقول هذا ولا يستريح إلى سماعه ، ولا يأبى أن يكون الفن عاماً لا يستأثر به أناس دون أناس بغير الحق والاستعداد ، ولكنه يأبى أن يعم ليسقط فيه الرفيع إلى منزلة الوضيع ، لأن زواله خير من بقائه على هذه الحال .

عباس محمود العقاد

فى هذه الهوة إلا أبو نواس فإنه قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد

هواك لعمل الفضل يجمع بيننا

وفى (معاهد التنصيص) هذا الخبر :

حدث رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مذبة أذب بها عنه ، إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى، فأذن له ، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، ثم خلع عليه وأجازه وانصرف، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نواس ، فامتنع من الإذن له حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه رد عليه ولا أمره بالجلوس ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : مى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والتثقل ؛ فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله (سأشكو البيت) قطب وجهه ، وقال : أمسك ، عليك لعنة الله ! اغرب ، قبحك الله ! وأمر بإخراجه محروماً فأخرج ، والتفت الفضل إلى أنيس بن أبى شيخ وقال : ما رأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تمييزاً فى كلامه منه . فقال أنس : إن اسمه كبير !

فقال : عند من ويلك ؟ هل هو إلا عند سُقّاط مثله وخلق يشاكلونه . . . ؟

* * *

ج ١٨ ص ١٥٦ : وقد خدمت سيف الدولة — تجاوز الله عن فُرُطاته — وأنا ابن تسع عشرة سنة .

وجاء فى الشرح : الفرط : الظلم والاعتداء .

قلت : لا يقصد القائل — وهو الحاتمى اللغوى — بهذا الدعاء الظلم والاعتداء . فى الأساس : وتقول : اللهم اغفر فَرَطاتى ، ولا تؤاخذنى بسقطاتى . وفيه : ولا يخلو أحد من سقطة ، وفلان يتتبع السَّقَطات ويعد الفَرَطات ، والكامل من عدت سقطاته . وقد روى التاج هذا القول وقال : السقطة : المثرة والزلة .

* * *

ج ٦ ص ٢١٤ : قال (الصاحب بن عباد) : ما أفظعنى إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادى ، فقصدنى فأذنت له ، وكان عليه مرقعة وفى رجليه نعل طاق ، فنظرت إلى حاجبى ، فقال له وهو يقصد إلى : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ ولعلى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك ، وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى ..؟

وجاء فى الشرح : يقال: أفظعه الأمر: اشتدت شناعته ، وجاوز قدره ، وأفظعه الأمر وجده فظيعاً . يقال : نعل طاق عطف بعضه على بعض ، وربما قيل طاق نعل ، من إضافة الصفة إلى الموصوف .

قلت : (ما أقطعنى) (وفى رجليه نعل مطرقة أو مطارقة) (أتراه يريد) .

فى التاج : ومن المجاز : قطع خصمه بالحجة . وفى الأساس : بالمحاجة عليه وبكته كأقطعه .

وفى الأساس : ونعل مُطْرَقة ومطارقة : مخصوفة وكل خصفة طراق . وفى النهاية : طارق النعل إذا صيرها طاقا فوق طاق وركب بعضها فوق بعض . وفى حديث عمر : فلبست خفين مطارقين أى مطبقين واحداً فوق الآخر . وروى بعضهم المطرّقة بتشديد الراء للتكثير ، والأول أشهر .

* * *

ج ١ ص ١٥٧ : الرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل .

قلت : (خير من التمادى فى الباطل) فى الأساس : وتمادى فى الأمر : تمادّ فيه إلى النهاية . وفى اللسان : تمادى فلان فى غيه إذا لج فيه وأطال مدى غيه أى غايته . وفى (الكشاف) فى تفسير (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ؟ قلت : اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لأن القوم كانوا يهوداً ، وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان ، وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته ، فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً ، وكفراً موجهاً [1] لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق ،

(١) أى ذو وجهين كل كفر له وجه من قولهم كساء موجه : له وجهان (حاشية الجرجانى) .

وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر لا إيمان، فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم، وأروهم أنهم مثلهم فى الإيمان الحقيق كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر.

* * *

ج ١٥ ص ١٩٦ : وكتب (على بن يوسف القفطى يعرف بالقاضى الأكرم) إلى القاضى الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور :

تميل إلى جوانبه كأنا إذا ملنا نميل على أيينا

قلت : الرواية (نميل على جوانبه) وبعده :

نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرماً ولينا

والبيتان لأبى الجهم العدوى يقولهما فى معاوية (رضى الله عنه) وقد رواهما ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) فى (باب الحلم والغضب).

* * *

ج ١ ص ١٣٨ : تنسّم أعلى السماء. قلت : تسنم أعلى السماء. فى التاج : تسنم الشىء تسنما وسنمه تسنيما علاه. وتنسم النسيم إذا تشممه كتنسم العليل والمحزون إياه فيجدان لذلك خفة وفرحاً.

* * *

ج ٦ ص ١٥ : ... قد والله زانيته دفعات.

وفى الشرح : فى الأصل زنيته فاصلحتها إلى زانيته بمعنى نسبته إلى الزنا ويقال أزناه نسبه إلى الزنا.

قلت : الأصل صحيح وياقوت هنا ينقل من الأغانى واللفظة فى كتاب أبى الفرج[1] هى كما جاءت فى (الإرشاد) فى الأصل. وفى (الأغانى)[2] هنا الخبر :

المدائنى قال : قال عبدالله بن مسور الباهلى يوماً لأبى النضير وقد تحاورا فى شىء : يا ابن اللخناء، أتكلمنى ولو اشتريت عبداً بمئتى درهم وأعتقته لكان خيراً منك ؟ فقال له أبو النضير : والله لو كنت ولد زنا لكنت خيرا من باهلة كلها. فغضب الباهلى، فقال له بشار : أنت منذ ساعة تزنّى أمه ولا يغضب، فلما كلمك كلمة واحدة لحقك هذا كله. فقال له : وأمه مثل أى يا أبا سُعاذ ؟ فضحك ثم قال : والله لو كانت أمك أم الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله.

وقد أورد اللفظة كما قُصد هنا الصحاح والأساس واللسان والتاج. وفى كتاب سيبويه ج ٢ ص ٣٣٥ : فأما خطّأته فإنما أردت سميتُه مخطئاً كما أنك حيث قلت فسّقته وزنيته أى سميته بالزنا والفسق كما تقول : حييتُه أى استقبلته بحياك الله.

* * *

ج ١٤ ص ١٠٧ : فدخلت عليه وهو جالس على كرسى ملوكى وعليه بندادية مشهورة وعلى رأسه بَطيخية.

وجاء فى الشرح. يريد ثيابا بغدادية، والبطيخية قلنسوة على شكل البطيخة.

قلت : (بِطيخية) فى المصباح : قال ابن السكيت فى باب ما هو مكسور الأول. وتقول هو البطيخ، والعامة تفتح الأول، وهو غلط لفقد فعّيل بالفتح.

* * *

ج ١٣ ص ٣٦ : وله (لعلى بن حسن الباخرزى) :

يروقك بشرا وهو جذلان مثلما تخاف شباه وهو غضبان محنق

كفا السيف فى أطرافه الموت كامن وفى متنه ضوء يروق ورونق

قلت : (وهو غضبانٍ محنَق) فى الأساس : مالك مغيظا محنَقاً. وفى السيرة لابن هشام وديوان الحماسة :

هل يسمعن النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمدٌ ولأنت ضنء نجيبة فى قومها والفحل فحل معرق[1]

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنَق

فالنضر أقرب من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تُشقق !

(١) ج ٥ ص ٢٩٨.

(٢) ج ٣ ص ٢١٢.

(١) نون الاسم المعظم (محمد) ضرورة. فى كتاب سيبويه : فلما لحقه التنوين اضطراراً (سلام الله يا مطر عليها) لم يغير رفعه كما لم يغير رفع ما لا ينصرف إذا كان فى موضع رفع ... وكان عيسى بن عمر يقول يا مطراً يشبهه بقوله يا رجلا يجعله إذا نون وطال كالنكرة. ولم تسمع عربياً يقوله وله وجه من القياس. ج ١ ص ٣١٣.

وهذه الأبيات من مقطوعة مصنوعة أوردها محمد بن إسحاق في (السيرة) وقال: «وقالت قُتَيْلة بنت الحارث أخت النضر ابن الحارث تبكيه» وقد استجادها حبيب — وإنها والله لجيدة — فاختارها في (حماسته).

وابن إسحق هذا هو الذي يقول فيه ابن معين — كما جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال —: «ما لابن إسحق عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة والأشعار المكذوبة»

وجاء في الميزان: «قال أبو بكر بن الخطيب: روى أن ابن إسحق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها» وقد نقد محمد بن سلاّم الجمحي في (طبقات الشعراء) ابن إسحق ونقل طعنه فيه السيوطي في (المزهر).

والنضر بن الحارث أسر في بدر وقتله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) صَبْرا[1] عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصفراء وقيل بالأُثَيل. «وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجلساً فذكر فيه بالله وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا (والله) يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلي، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار».

قال ابن هشام راوي خبر النضر:

«فيقال (والله اعلم) إن رسول (صلى الله عليه وسلم) لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه».

قلت: إن الذي قيل هو من الأباطيل، فما عملت قتيلة في أخيها شعرا، ولم يقل النبي ما عزي إليه، وما كان النضر المحتشد المجتهد في هدم ذاك البناء الإسلامي الإنساني العربي حقيقاً بأن يمن ذلك الباني عليه.

(١) الصحاح: قتل فلان صبراً وحلف صبراً إذا حبس على القتل حتى يقتل أو على اليمين حتى يحلف. وفي اللسان: قيل للرجل يقدم فيضرب عنقه قتل صبراً يعني أنه أمسك على الموت. وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً.

من خواطر جحا:

الغراب الطائر . . . !

للأستاذ كامل كيلاني

[مهداة إلى نقلة الشوائع والأخبار الذين عناهم الشاعر بقوله]:

«هم نقلوا عني الذي لم أقله به
وما آفة الأخبار إلا رواتها»

يسرنا أن ننقل إلى القراء القصة البارعة التالية من المقدمة الشائقة التي صدر بها «عبد الله جحا» خواطره وقصصه نقلا عن المخطوط الجحوي النفيس الذي عثرت عليه، ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه.

قال «أبو الفضل عبد الله دجين بن ثابت» الملقب بجحا:

«سمعت ذات يوم أن رجلا — في أقصى المدينة — تقايأ غرابا، ثم لم يلبث الغراب أن طار، وغاب عن الأنظار. فسألت مخبري عمن أخبره بهذا؟ فقال: «فلان»، فرحت إلى «فلان» أسأله جلية الخبر، فقال: «لقد رويت لصاحبي هذا الخبر، ولكنني لم أقل إن الغراب طار، بل قلت إنه سار (أي مشى)، فسألته عمن أخبره بذلك؛ فقال: «فلان»، فلما سألت فلانا أخبرني أن الغراب لم يسر ولم يطر، ولكنه وقف ساكنا، ثم مات بعد قليل. وسألته عمن أخبره بذلك فسماه لي، وما زلت أتقصى الخبر من رواته — واحداً بعد الآخر —: هذا يخبرني أنه سمع أنه لم يتقايأ غرابا، بل طائراً يشبه الغراب. وما زال الخبر يتناقص كلما تتبعته وقربت من مصدره، حتى لقيت صاحب القصة نفسه، فلما أفضيت إليه بما سمعته، وسألته عن جلية الأمر، ضحك متعجباً من تحريف الأخبار ثم قال:

«لقد تقايأت — منذ أيام — فقال أحد الحاضرين مداعباً: إن قيئك يشبه لون الغراب. وما زال الخبر ينتقل من واحد إلى آخر حتى زعم الزاعمون أنني تقايأت — كما سمعت — غرابا، ثم لم يلبث الغراب أن طار، وغاب عن الأبصار»...

(وفق الأصل)

كامل كيلاني